

قَصِيدَةُ خَيْرِ
بِرِّ نَايِحِ مَهْمَا الْعِلْمِ

فِي سَنَتِهِ السَّابِعَةِ ١٤٣٧



صَنَعَهُ مَعَالِي السَّنَخِ الْكَثِيرِ

صَاحِبِ بَرِّ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَمْدِ الْعُصَيْمِيِّ

عُضُوهُ هَيْئَةٍ كِبَارِ أَعْلَمَاءِ الْمَدِينِ بِالْمَرَمَنِ الشَّرِيفِينَ
غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِإِسْرَائِيلَ وَلِلْمُسْلِمِينَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

... ثم أقول:

إنَّ مِمَّا حُبِّيَ بِهِ هَذَا الْبِرْنَامِجُ، إِقْبَالَ الْجَمِّ الْغَفِيرِ عَلَيْهِ مِنْ أَنْحَاءِ الْعَالَمِ، وَلِلنَّاسِ فِيهِ أَنْظَارٌ وَأَنْظَارٌ، وَلَأَنِّي مَعْدُودٌ فِي جَمَلَةِ النَّاسِ، أَحْبَبْتُ أَنْ أُعْرِفَ كُمْ بِنَظْرَتِي، وَمَاذَا يَقُولُ الْآنَ مَنْ كَانَ يَجْلِسُ إِلَيْهِ وَاحِدٌ فَقَطْ!، وَالْيَوْمَ يَجْلِسُ إِلَيْهِ الْآلَافُ، فَرَأَى فِي ذَلِكَ الْوَاحِدِ انْتِفَاعَهُ بِالْعِلْمِ وَحِيَازَتَهُ حَظًّا وَافِرًا مِنْهُ، حَتَّى صَارَ يَجْلِسُ فِي حَيَاتِهِ لِلتَّدْرِيسِ، وَلَا يَدْرِي أَيْبَلُغُ هَذَا الْأَمَلَ فِي الْآلَافِ أَمْ لَا، لَكِنَّهُ يُرَجِّي اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمُومِ النَّفْعِ لِلْمُسْلِمِينَ.

فأقول لكم:

يَا أَيُّهَا الْجَمْعُ الْمُكَثَّرُ فِي الْعَدَدِ

بِالْحَقِّ أَنْتُمْ قُوَّةٌ نِعَمَ الْعَدَدِ

كَمْ مِنْ قَلِيلٍ نَالَ عِزَّ مُرَادِهِ

وَعَدَا كَثِيرُ الْقَوْمِ صِفْرًا لَا يُعَدُّ

أَوْ مَا رَأَيْتَ النَّصْرَ حِيزَ بَدْرِنَا

وَمَعَ الرَّسُولِ قَلَائِلُ لَكِنْ عُمَدُ

وَلَرُبَّمَا نِيلَ الْمُرَادُ بِوَاحِدٍ

وَتَسَاقَطَتْ أَعْدَادُ جَمْعٍ مُسْتَمَدٌّ

مَنْ كَانَ يَرْجُو كَثْرَةَ مَنْ تَابِعِ

فَالْقَصْدُ أَسْوَدُ وَالشُّرُورُ لَهُ رَصْدٌ (٥)

مَاذَا يُفِيدُ الْمَرْءُ مِنْ تَجْمِيعِهِمْ

وَالْقَلْبُ يُخْشَى بِالرِّزَايَا وَالنَّكَدُ

أَنْى السَّلَامَةُ إِنْ هَفَوْتُ بِزَلَّةِ

وَتَقَاطَرَ الْأَتْبَاعُ فِي حَبْلِ الْمَسَدِ

كَيْفَ السَّيْرَةُ إِنْ تَكَاثَرَ عَدُّهُمْ

وَالْعَارُ يُنْشَرُ فِي الْقِيَامَةِ يَا عَبْدُ

تِلْكَ الْفَضِيحَةُ لَا سَبِيلَ لِسِتْرِهَا

رَبَّاهُ فَاسْتُرْنَا وَعَامِلٌ بِالرَّفْدِ

وَنَجَاةُ دِينِ الْمَرْءِ مِنْ أَعْدَادِكُمْ

حُسْنُ السَّرِيرَةِ يَا إِلَهِي يَا صَمَدٌ (١٠)

قَدْ كُنْتُ أَجْلِسُ فِي إِزَائِي وَاحِدٌ
وَالنَّاسُ نَوْمَى لَا تَرِقُّ لِمَنْ سَهَدُ
وَالْيَوْمَ جَمْعُ الْخَلْقِ لَيْسَ بِطَلْبَتِي
فَصَلِّحْ وَاحِدِهِمْ أَبَانَ لِي الرَّشْدُ
وَالْعِلْمُ يُنْشَرُ فِي أُلُوفٍ مَاضِيَهُ
وَاللَّهُ يُبْقِي وَاحِدًا نَجْمًا يُعَدُّ
لَا تَبْتَغُوا الْأَعْدَادَ فِي إِصْلَاحِكُمْ
وَتَطَلَّبُوا الْإِعْدَادَ فِي فِئْدٍ وَفَدُ
وَالشَّأْنُ كُلُّ الشَّأْنِ فِي نِيَّاتِكُمْ
وَيُلُ الْفَتَى مِنْ نِيَّةٍ لَا تُعْتَمَدُ (١٥)
رَبَّاهُ هَذَا مَا أَقُولُ بِأَحْرُفِي
فَأَمَّا فُؤَادِي بِالْيَقِينِ إِذَا بَرَدُ
وَإِذَا أَمُوتُ وَصِيَّةً مَنِّي لَكُمْ
بِذُلِّ الدُّعَاءِ لِمَنْ تَجَنَّى فِي اللَّحْدِ

رَبَّاهُ فَأَرْحَمَ صَالِحًا وَأَجْعَلْ لَهُ
فِي دَارِ فَضْلِكَ مِنْ نَعِيمٍ لَا يُحَدُّ
وَالْحَاضِرِينَ وَكُلَّ فَرْدٍ سَامِعٍ
صَوْتِ الدُّعَاءِ مُؤْمِنًا أَنِّي وَجَدُ (١٩)

أُقِيَّتْ

ليلة السبت السادس من شهر ربيع الآخر
سنة سبع وثلاثين بعد الأربعمائة والألف
بمسجد الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالمدينة النبوية

